أثر (علة الحكم) في التركيب النحوي في القرآن الكريم

أ.م.د. فلاح رسول حسين

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

أما بعد : فقد عقدت هذا البحث لرصد أثر (علة الحكم) في التركيب النحوي في القرآن الكريم ، إذ يلجأ المفسرون إلى القول بعلة الحكم لتسويغ العدول الظاهر في التعبير ، لذا قد تركت (علة الحكم) عدة آثار في التركيب ، ومن هذه الآثار : وضع الظاهر موضع المضمر ، واستعمال الموصول والصلة ، وغيرها من الآثار المتعددة والمهمة ، وكان القرآن الكريم وتفاسيره ميدانا لهذا الموضوع ، فتتبعت فيه المواضع التي دونها المفسرون والتي صرّحوا فيها على أنها بسبب (علة الحكم) ، ورتبتها مقسما إياها على عدة موضوعات ، مناقشا أقوالهم في بعض الأحيان ، وتوصلت إلى نتائج ، تكفلت الخاتمة بعرضها ، اسأل الله قبول البحث ، والانتفاع به ، و الهداية إلى جادة الصواب .

Abstract.

The Affection Of (The Reason Of The Judgment) In The Grammatical Structure Of The Noble Qurʾān.

.

In The Name of Allah Most Gracious Most Merciful

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon Muhammad, his pure family, and his chosen companions

Having said that, this research article studies the affection of the (Judgment Reason) in the syntactic structure of the Noble Qurʾān. So, most of the exegete of Qurʾān determine that the judgment reason is making change in the linguistic structure. Therefore, the judgment reason has left many affections in the syntax as:- the usage of the lingual relative and the relative pronouns, the re- usage of the noun instead of its pronoun and others. Thus, the Noble Qurʾān and its interpretation have been good field for this major of research. By so doing, number of topics which were authored by the Qurʾānic exegetes have been well researched in this study. Such topics were identified and classified by those interpreters as (Judgment reasons). In addition, those exegetes have ranked those topics, discussed them and finally gave their conclusions. At last I beg Almighty Allah to accept this research article and not misguide us away from the righteousness.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وآله الطيبين وصحبه المنتجبين .

أما بعد : فلا يزال القرآن الكريم ميدانا رحبا للباحثين في المجالات كافة ولاسيما للباحثين في علوم اللغة العربية ، وإذ راقبتُ تفاسير القرآن الكريم ، وجدت أن علة الحكم كانت عاملا مهما جدا في إحداث بعض التغييرات في التركيب النحوي كالتقديم والتأخير والحذف والاعتراض والالتفات واستعمال الموصول وصلته ووضع الظاهر موضع المضمر وغير ذلك مما هو مدون في متن البحث .

جمعت تلك المواطن التي صرح فيها المفسرون بـ (علة الحكم) ، وبوّبتها على عدة موضوعات ، وقدمت من تلك الموضوعات ما كثُر نماذجه ، ومرتبا النماذج (الآيات) في داخل كل موضوع على وفق ورودها في المصحف ، وقد ضمّنت رأيي في بعض المواطن ، ولاسيما تلك المواطن التي لا اتفق فيها مع الرأي المطروح .

وقد مهدت للموضوع بالحديث عن العلة والحكم وعلة الحكم عند الأصوليين والنحويين . وختمت البحث بأبرز النتائج.

استعان الباحث بعدة مصادر تنوعت بين أصول الفقه وأصول النحو ، والتفاسير ، وأبرز هذه التفاسير : إرشاد العقل السليم ، وروح المعاني ، والميزان .

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يضيء هذا البحث للباحثين شيئا في سبيل العلم والمعرفة ، وان يكتبنا ممن خدم كتابه العزيز و سعى للتزود من علوم القرآن الكريم والاقتباس من نور الذكر الحكيم ، والحمد لله أولا و آخرا .

تمهيد

العلة والحكم و(علة الحكم)

لابد من تمهيد عن العلة و الحكم وعلة الحكم ، وسنعرض ذلك – بشكل موجز - من وجهة نظر الأصوليين والنحويين :

أما عند الأصوليين : فقد ذكروا في باب أسرار الحكم والعلة أن للعباد أفعالا يرضى لأجلها رب العالمين ، وأفعالا يسخط لأجلها ، وأفعالا لا تقتضي رضا ولا سخطا ، فاقتضت حكمته البالغة أن يبعث إليهم الأنبياء ، ويخبرهم على ألسنتهم بتعلق الرضا والسخط بتلك الأفعال . فالأحكام خمسة : إيجاب ، وندب ، وإباحة ، وكراهية ، وتحريم ، والذي يؤتى به في مخاطبة الناس لا يمكن أن يكون حال كل فعل على حدته من أفعال المكلفين لعدم انحصارها ، ولعدم استطاعة الناس الإحاطة بعلمها ، فوجب إذا أن يكون ما يخاطبون به قضايا كلية معنوية بوحدة تنظم كثرة ، ليحيطوا بها علما ، فيعرفوا منها حال أفعالهم ، ولك عبرة بالصناعات الكلية التي جعلت لتكون قانونا في الأمور الخاصة يقول النحوي : الفاعل مرفوع فيعي مقالته السامع ، فيعرف بها حال زيد في قولنا قام زيد ، وعمر في قولنا قعد عمر ، وهلم جرا ، وتلك الوحدة التي تنظم كثرة هي العلة التي يدور الحكم على دورانها [1] .

وتُذكر علة الحكم عادة في باب الأدلة الشرعية مع دليل القياس فهي ركن من أركان القياس ، لذلك سنقف على القياس وأركانه .

فالقياس في اصطلاح الأصوليين هو : ((إلحاق واقعة لا نص على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها، في الحكم الذي ورد به النص، لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم .))[2] وقيل في تعريفه : ((هو إثبات مثل حكم الأصل للفرع لتساويهما في علة الحكم))[3].

وأركان القياس أربعة : ((الأصل: وهو ما ورد بحكمه نص، ... والفرع: وهو ما لم يرد بحكمه نص،... وحكم الأصل: وهو الحكم الشرعي الذي ورد به النص في الأصل ... والعلة: وهي الوصف الذي بنى عليه حكم الأصل وبناء على وجوده في الفرع يسوى بالأصل في حكمه))[4].

فالركن الرابع للقياس هو العلة : وعلة الحكم شرط في صحة القياس ، وذهب بعض القائسين إلى أن القياس يصح بغير علة إذا لاح بعض الشبه ، وذهب جمهور القائسين إلى أن العلة لابد منها في القياس [5].

ومن المتفق عليه بين جمهور علماء المسلمين أن الله سبحانه ما شرع حكما إلا لمصلحة عباده ، فإباحة الفطر للمريض في رمضان حكمته دفع المشقة عن المريض ، وكان المتبادر أن يبنى كل حكم على حكمته، وأن يرتبط وجوده بوجودها ، ولكن رُئي بالاستقراء أن الحكمة في تشريع بعض الأحكام قد تكون أمرا خفياً غير ظاهر ، فلا يمكن التحقق من وجوده ، ولا يمكن بناء الحكم عليه ، مثل إباحة المعاوضات التي حِكمتها دفع الحرج عن الناس بسد حاجاتهم، فالحاجة أمر خفي، ولا يمكن معرفة أن المعاوضة لحاجة أو لغير حاجة . وقد تكون الحكمة أمراً تقديرياً أي أمرا غير منضبط . مثال هذا : إباحة الفطر في رمضان للمريض، حكمتها دفع المشقة، وهذا أمر تقديري يختلف باختلاف الناس وأحوالهم، فلو بني الحكم عليه لا ينضبط التكليف ولا يستقيم ، فلأجل خفاء حكمة التشريع في بعض الأحكام، وعدم انضباطها في بعضها، لزم اعتبار أمر آخر يبني عليه الحكم ، وهذا الأمر الظاهر المنضبط الذي بني الحكم عليه لأنه مظنة لحكمته ، هو المراد بالعلة في اصطلاح الأصوليين [6] .

فالفرق بين حكمة الحكم وعلته هو أن حكمة الحكم هي الباعث على تشريعه ، والغاية المقصودة منه (جلب المصلحة ، ودفع المفسدة) . وأما علة الحكم فهي الأمر الظاهر المنضبط الذي بني الحكم عليه ، فقصر الصلاة الرباعية للمسافر حكمته التخفيف ودفع المشقة ، وهذه الحكم أمر تقديري غير منضبط ، فاعتبر الشارع السفر مناطا للحكم وهو أمر ظاهر منضبط وفي جعله مناطا للحكم مظنة تحقيق حكمته، لأن الشأن في السفر أنه توجد فيه بعض المشقات، فحكمة قصر الصلاة الرباعية للمسافر دفع المشقة عنه، وعلته السفر. وعلى هذا فجميع الأحكام الشرعية تبني على عللها، لا على حكمها، ومعنى هذا أن الحكم الشرعي يوجد حيث توجد علته ولو تخلفت حكمته [7].

وأما عند النحويين : فسنسلط الضوء أيضا – وبشكل مختصر- على أدلة النحو ، والقياس وأركانه ؛ إتماما للفائدة .

عُرِّفت أصول النحو بالقول : ((أصول النحو أدلة النحو التي تفرعت منها وفروعه وأصوله كما أن أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوعت عنها جملته وتفصيله))[8]

وأدلة النحو هي : ((نقل وقياس واستصحاب حال))[9] وذكر السيوطي أنها عند ابن جني ثلاثة : السماع والإجماع والقياس[10]

أما القياس فهو : ((في عرف العلماء عبارة عن تقدير الفرع حكم الأصل وقيل : هو حمل فرع على أصل بعلة وإجراء حكم الأصل على الفرع . وقيل : هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع وقيل : هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع))[11] .

و أركان القياس : ((أربعة أشياء : أصل وفرع وعلة وحكم ، وذلك مثل أن تركب قياسا في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله فتقول: اسم أسند الفعل إليه مقدما عليه فوجب أن يكون مرفوعا قياسا على الفاعل. فالأصل هو الفاعل والفرع هو ما لم يسم فاعله والعلة الجامعة هي الإسناد والحكم هو الرفع))[12]

وقد ذكر السيوطي أن من شروط العلة أن تكون هي الموجبة للحكم في المقيس عليه [13] .

فالقياس في النحو ((له صلة وثيقة بالقياس في بعض العلوم النقلية والعقلية كالفقه والمنطق تتضح في الصورة الفكرية العامة في كل منها وذلك بوضع القوانين التي تلزم ما يندرج تحتها))[14].

بعد هذا التمهيد عن العلة والحكم و (علة الحكم) نقول : وردت عبارة (علة الحكم) عند المفسرين ، إذ يذهب المفسرون في عدة مواطن إلى القول بـ (علة الحكم) عند حديثهم عن استعمال ما ، وعدول في التركيب ، في القرآن الكريم ، فهي إحدى العلل المهمة التي اعتُل بها كثيرا لبيان ذلك التركيب .

والإتيان بعلة الحكم في النص القرآني له آثار في التركيب النحوي ، وهذا ما سنفصل القول فيه في هذا البحث إن شاء الله.

أولا/ وضع الظاهر موضع المضمر:

وهذا من أهم الآثار ، ومن الأمثلة على ذلك :

قوله تعالى :((**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**)) [المائدة : 43]

قال أبو السعود مشيرا إلى قوله تعالى (وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) : ((ووضعُ اسمِ الإشارة موضعَ ضميرِهم للقصد إلى إحضارِهم في الذهن بما وُصفوا به من القبائح إيماءً إلى علة الحُكم وإلى أنهم قد تميزوا بذلك عن غيرِهم أكملَ تمييز حتى انتظموا في سلك الأمور المشاهَدة ، و (ما) فيه من معنى البعد للإيذان ببُعد درجتهم في العُتُوِّ والمكابرة أي وما أولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين ...))[15]

قوله تعالى : ((**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)) [العنكبوت : 20]

قال ابو السعود عن قوله (ثم الله): ((وإظهارُ الاسمِ الجليلِ وإيقاعُه مبتدأً مع إضمارِه في (بدأ) لإبرازِ مزيدِ الاعتناءِ ببيانِ تحقُّق الإعادةِ بالإشارة إلى عِلّة الحُكم وتكريرِ الإسنادِ .))[16]

قوله تعالى ((**قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34)**)) [الذاريات]

ذكر الالوسي سببين في وضع الظاهر موضع الضمير ، فقال : ((لِلْمُسْرِفِينَ } المجاوزين الحد في الفجور ، و (أل) عند الإمام للعهد أي لهؤلاء المسرفين ، ووضع الظاهر موضع الضمير ذمّاً لهم بالإسراف بعد ذمّهم بالإجرام ، وإشارة إلى علة الحكم))[17]

قوله تعالى: ((**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**)) [البقرة : 98]

نصّ الطباطبائي على علة الحكم في الاية ، فقال : ((قوله تعالى: عدو للكافرين، فيه وضع الظاهر موضع المضمر و النكتة فيه الدلالة على علة الحكم كأنه قيل: فإن الله عدو لهم لأنهم كافرون و الله عدو للكافرين.))[18]

قوله تعالى ((**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا**)) [الكهف : 38]

موطن الشاهد (ربي) الثانية ، قال الطباطبائي : ((و قد كرر في الآية لفظ "ربي" و الثاني من وضع الظاهر موضع المضمر و حق السياق "و لا أشرك به أحدا" و ذلك للإشارة إلى علة الحكم بتعليقه بالوصف كأنه قال: و لا أشرك به أحدا لأنه ربي و لا يجوز الإشراك به لربوبيته))[19] .

وارى أن علة الحكم تظهر أيضا مع الضمير في (به) لان هذا الضمير يعود على (ربي) الأولى فيتحقق المراد . نعم ربما في الظاهر زيادة تنبيه على العلة والله اعلم .

قوله تعالى ((**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**)) [النور : 11- 12]

فصل الطباطبائي القول في دلالة استعمال الظاهر بدلا من الضمير ذاكرا علة الحكم ، ففي الظاهر (المؤمنون والمؤمنات) دلالات مهمة لا تتحصّل من استعمال الضمير ، إذ يقول : ((و قوله: "ظن المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم" من وضع الظاهر موضع المضمر، و الأصل "ظننتم بأنفسكم" و الوجه في تبديل الضمير وصفا الدلالة على علة الحكم فإن صفة الإيمان رادعة بالطبع تردع المتلبس بها عن الفحشاء و المنكر ... فعلى المتلبس بها أن يظن على المتلبسين بها خيرا ... فالمعنى: و لو لا إذ سمعتم الإفك ظننتم بمن رمي به خيرا فإنكم جميعا مؤمنون بعضكم من بعض و المرمي به من أنفسكم و على المؤمن أن يظن بالمؤمن خيرا))[20]

قوله تعالى ((**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**)) [الزمر : 7]

موطن الشاهد في (لعباده) ، وفي هذا السياق قال الطباطبائي: ((و قوله: (و لا يرضى لعباده الكفر) دفع لما ربما يمكن أن يتوهم من قوله: "فإن الله غني عنكم" إنه إذا لم يتضرر بكفر و لم ينتفع بإيمان فلا موجب له أن يريد منا الإيمان و الشكر فدفعه بأن تعلق العناية الإلهية بكم يقتضي أن لا يرضى بكفركم و أنتم عباده ... و بذلك يظهر أن التعبير بقوله: "لعباده" دون أن يقول: لكم للدلالة على علة الحكم أعني سبب عدم الرضا.))[21] . فوضع الظاهر موضع الضمير لبيان علة الحكم .

قوله تعالى : ((**أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ**)) [الزمر : 24]

والمقصود بالظاهر مفردة (الظالمين) قال الطباطبائي : ((و قوله: "و قيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون" القول لملائكة النار، و الظاهر أن الجملة بتقدير قد أو بدونه و الأصل و قيل لهم ذوقوا "إلخ" لكن وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على علة الحكم و هي الظلم.))[22]

قوله تعالى :((**وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا**)) [الفتح : 13]

فالكفر هو علة السعير ، وللإشارة إليها وُضع الظاهر موضع الضمير ، ذكر ذلك الطباطبائي قائلا : ((وقوله: "فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا" كان مقتضى الظاهر أن يقال: أعتدنا لهم فوضع الظاهر موضع الضمير للإشارة إلى علة الحكم بتعليقه على المشتق، و المعنى: أعتدنا و هيأنا لهم لكفرهم سعيرا أي نارا مسعرة مشتعلة))[23]

قوله تعالى : ((**يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**)) [التغابن : 4]

أشار الطباطبائي الى وضع الظاهر موضع الضمير ، مبينا النكتة في ذلك ، قائلا : ((وفي قوله: "و الله عليم" إلخ، وضع الظاهر موضع الضمير و الأصل "و هو عليم" إلخ و النكتة فيه الإشارة إلى علة الحكم، و ليكون ضابطا يجري مجرى المثل))[24]

وأرى أن العلة ظاهرة من دون هذا العدول ، ولعل في العدول تأكيدا عليها والله اعلم .

ثانيا/ استعمال الموصول والصلة:

وردت عدة شواهد تبين أن علة الحكم كانت سببا في إيراد الموصول وصلته منها :

قوله تعالى ((**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**)) [النور : 40]

الشاهد في قوله تعالى (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا)

علل أبو السعود إيراد الموصول وصلته قائلا : ((وإيرادُ الموصولِ للإشارة بما في حيِّزِ الصِّلةِ إلى علَّة الحُكم وأنَّهم ممَّن لم يشأ الله تعالى هدايتَهم أي ومَن لم يشأ الله أنْ يهديَه لنوره الذي هُو القرآنُ هدايةً خاصَّةً مستتبعة للاهتداء حتماً ولم يُوفقه للإيمان به))[25]

قوله تعالى ((**الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ**)) [الأعراف : 92]

أشار الآلوسي إلى بناء الخبر على الموصول : ((وفي بناء الخبر على الموصول إيماء إلى أن علة الحكم هي الصلة فكأنه قيل : الذي كذبوا شعيباً هلكوا لتكذيبهم إياه هلاك الأبد ، ويشعر ذلك هنا بأن مصدقيه عليه السلام نجوا نجاة الأبد))[26] .

فلما كان التكذيب يؤدي الى الهلاك فالنجاة مع التصديق حتما وهذه النتيجة طبيعية عند القول بعلة الحكم .

قوله تعالى : (**فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ**)) [البقرة :من الآية 59]

يعقد ابن عاشور مقارنة في التعبير بين سورتي البقرة والاعراف ، في الايات الاتية : قوله تعالى ((وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)) [البقرة :58 ، 59] وقوله تعالى : ((وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذه الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ)) [الأعراف : 162]

ومن ضمن ما ذكره أنّ آية البقرة سيقت مساق التوبيخ ، وآيات الأعراف سيقت لمجرد العبرة بقصة بني إسرائيل . ولأجل هذا الاختلاف مُيزت آية البقرة بإعادة الموصول وصلته في قوله : ((فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً)) وعوض عنه هنا[27] بضمير الذين ظلموا ، لأن القصد في آية البقرة بيان سبب إنزال العذاب عليهم مرتين أشير إلى أولاهما بما يومئ إليه الموصول من علة الحكم ، وإلى الثانية بحرف السببية ، واقتصر هنا على الثاني .[28]

نلاحظ أن سياق الآيات وجوها العام والغرض منها قد أثّر في الإتيان بما يشير إلى علة الحكم عن طريق الموصول وصلته .

قوله تعالى (**أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**)) [يونس : 8]

علق ابن عاشور قائلا :((والباء للسببية . والإتيان ب (ما) الموصولة في قوله :(بما كسبوا) للإيماء إلى علة الحكم ، أي أن مكسوبهم سَبب في مصيرهم إلى النار ، فأفاد تأكيد السببية المفادة بالباء .))[29]

قوله تعالى (**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**)) [محمد : 1]

ساق ابن عاشور مسألتين مهمتين في الآية وهما :

الأولى : أسرار الابتداء بالموصول والصلة

الثانية : أسرار استعمال الموصول وصلته (وهذا ما نحن بصدده)

إذ يقول : ((وفي الابتداء بالموصول والصلة المتضمنة كُفر الذين كفروا ومناواتهم لدين الله تشويق لما يرد بعده من الحكم المناسب للصلة ، وإيماء بالموصول وصلته إلى علة الحكم عليه بالخبر أي لأجل كفرهم وصدهم ، وبراعة استهلال للغرض المقصود .))[30]

قوله تعالى (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**)) [فصلت : 52]

قال الطباطبائي: ((و قوله: "ممن هو في شقاق بعيد" كناية عن المشركين و لم يقل: منكم بل أتى بالموصول و الصلة و ذلك في معنى الصفة ليدل على علة الحكم و هو الشقاق البعيد من الحق))[31].

فالعلة المتمثلة بالشقاق أدت إلى استعمال الموصول وصلته.

قوله تعالى ((**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**)) [المائدة : 48]

الشاهد هو :(فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ)

فصّل سيد طنطاوي القول في علة الحكم بقوله :((فاحكم بين هؤلاء اليهود وبين غيرهم من الناس بما أنزله الله من أحكام ، فإن ما أنزله هو الحق الذي لا باطل معه ، ولا تتبع في حكمك أهواء هؤلاء اليهود وأشباههم ... ولم يقل - سبحانه - " فاحكم بينهم به " بل ترك الضمير وعبر بالموصول فقال : ((فاحكم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ الله)) للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم ، لأن الموصول إذا كان في ضمن حكم تكون الصلة هي علة الحكم . أي : التزم في حكمك بينهم بما يؤيده القرآن لأنه الكتاب الذي أنزله الله عليك .))[32]

قوله تعالى ((**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**)) [الأنعام : 10]

أشار سيد طنطاوي إلى استعمال الموصول وصلته بقوله : ((وقال - سبحانه – (فَحَاقَ بالذين سَخِرُواْ) ولم يقل بالساخرين ، للإشارة إلى أن ما أصابهم من عذاب لم يكن تجنيًا عليهم ، وإنما كان بسبب سخريتهم برسل الله والاستخفاف بهم؛ لأن التعبير بالموصول يفيد أن الصلة هي علة الحكم .))[33] .

فالتعبير بالموصول والصلة فيه إشارة إلى علة الحكم .

ويبدو أن في (الساخرين) إشارة أيضا إلى ذلك و استندتُ في ذلك إلى قاعدة (الحكم المعلق بالمشتق) .

فالحكم إذا علق باسم مشتق من معنى فالمعنى الذي اشتق منه الاسم هو العلة للحكم. ومفادها أن الحكم إذا استند إلى اسم مشتق من مصدر وبني عليه فإن المعنى الذي يدل عليه مصدر الاشتقاق يكون هو العلة والسبب للحكم، والموجب له، وهو المسمى في عرف الأصوليين الوصف المناسب للحكم. ومن أمثلة هذه القاعدة ومسائلها: قوله تعالى: ((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا))[من الآية 38 المائدة] ، السارق اسم مشتق من السرقة فالسرقة علة وسبب القطع. ولو لم تكن علة لخلا الكلام من الفائدة.[34]

لكن ربما كانت الإشارة إلى علة الحكم مع الموصول وصلته أوضح وألصق بالمعنى المراد .

نلاحظ مما سبق أنّ علة الحكم كانت عاملا رئيسا في تغيير التعبير إلى استعمال الموصول وصلته وهو جلي لكثرة الشواهد المذكورة آنفا وفي تفاسير متعددة .

ثالثا / الالتفات :

يتضح أثر علة الحكم في اللجوء إلى الالتفات في أمثلة متعددة منها:

قوله تعالى : ((**وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ**)) [يونس : 46]

تحدث الطباطبائي عن الالتفات في الآية مشيرا إلى دلالته التي تكمن في علة الحكم ، قائلا : ((و الالتفات من قوله: "نرينك إلى قوله: "ثم الله شهيد" للدلالة على علة الحكم فإن الله سبحانه شهيد على كل فعل بمقتضى ألوهيته.))[35]

قوله تعالى : ((**رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**)) [إبراهيم : 38]

والالتفات في (على الله) ، ذكر ذلك الطباطبائي : ((و قوله: "و ما يخفى على الله شيء في الأرض و لا في السماء" من تمام كلام إبراهيم (عليه السلام) أو من كلامه تعالى، و على الأول ففي قوله: "على الله" التفات وجهه الإشارة إلى علة الحكم كأنه قيل: إنك تعلم ما نخفي و ما نعلن لأنك الله الذي ما يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السماء ...))[36] .

قوله تعالى : ((**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)) [الحشر : 21]

موطن الشاهد في قوله تعالى (من خشية الله) ، ((و الالتفات من التكلم مع الغير إلى الغيبة في قوله: "من خشية الله" للدلالة على علة الحكم فإنما يخشع و يتصدع الجبل بنزول القرآن لأنه كلام الله عز اسمه))[37] .

قوله تعالى : ((**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**)) [الإنسان : 30]

تحدث الطباطبائي عن علة الحكم في الالتفات قائلا : ((كما أن الوجه في الالتفات من التكلم بالغير إلى الغيبة في قوله: "يشاء الله إن الله" هو الإشارة إلى علة الحكم فإن مسمى هذا الاسم الجليل يبتدئ منه كل شيء و ينتهي إليه كل شيء فلا تكون مشية إلا بمشيته و لا تؤثر مشية إلا بإذنه))[38] .

نلاحظ في الأمثلة الأربعة السابقة حصول الالتفات : من التكلم إلى الغائب ، ومن الخطاب إلى الغائب ، ومن التكلم إلى الغائب ، ومن التكلم إلى الغائب أيضا ، وقالوا إن السبب في الالتفات هو علة الحكم ، وارى انه لو لم يحصل التفات في الأمثلة المذكورة آنفا لظهرت علة الحكم أيضا ، لكن يبدو أن في الالتفات تنبيها للسامع أو القارئ على علة الحكم ، فضلا على ما فيه من تنصيص وتأكيد وشد لذهن المخاطب .

رابعا / اختيار كلمة دون أخرى:

قوله تعالى ((**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**)) [النحل : 110]

أشار أبو السعود إلى علة الحكم بقوله : ((وفي التعرض لعنوان الربوبيةِ في الموضعين إيماءٌ إلى علة الحكمِ))[39].

وهنا يثير مسألة إيثار كلمة دون أخرى ، واستعمال مفردة دون مفردة أخرى ، فقد استعمل مفردة (ربكم) دون – على سبيل المثال – إلهكم أو الله أو كلمة أخرى ، وعلل ذلك بعلة الحكم .

خامسا/ ذكر أوصاف معينة :

من الآثار في التركيب الإتيان بأوصاف ، وقسمت الأوصاف على قسمين :

أ/ المفردات:

قوله تعالى ((**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**)) [الملك : 28]

رصد ابن عاشور علة الحكم وأثرها في الإتيان بوصف (الكافرين) في هذه الآية المباركة قائلا : ((وذُكر وصف { الكافرين } لما فيه من الإيماء إلى علة الحكم لأنه وصف إذا علق به حكم أفاد تعليل ما منه اشتقاق الوصف .))[40]

قوله تعالى ((**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**)) [الكهف : 49]

علل الطباطبائي ذكر وصف (المجرمين) بعلة الحكم قائلا : ((و ذكرهم بوصف الإجرام للإشارة إلى علة الحكم و أن إشفاقهم مما فيه لكونهم مجرمين فالحكم يعم كل مجرم و إن لم يكن مشركا.))[41]

قوله تعالى ((**كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**)) [الشعراء : 200]

وفي هذا السياق قال الطباطبائي: ((و المراد بالمجرمين هم الكفار و المشركون و ذكرهم بوصف الإجرام للإشارة إلى علة الحكم و هو سلوكه في قلوبهم على هذه الحال المبغوضة و المنفورة و أن ذلك مجازاة إلهية جازاهم بها عن إجرامهم و ليعم الحكم بعموم العلة))[42]

ب /التراكيب:

من الأمثلة على ذلك :

قوله تعالى ((**وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**)) [الشعراء : 151،152]

موطن الشاهد هو الوصف بقوله (الذين يفسدون في الأرض و لا يصلحون) علله الطباطبائي بعلة الحكم قائلا :((و قد فسر المسرفين و هم المتعدون عن الحق الخارجون عن حد الاعتدال بتوصيفهم بقوله: "الذين يفسدون في الأرض و لا يصلحون" إشارة إلى علة الحكم الحقيقية فالمعنى اتقوا الله و لا تطيعوا أمر المسرفين لأنهم مفسدون في الأرض غير مصلحين))[43] .

قوله تعالى ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**)) [النساء: 29]

قال الشعراوي : ((فحين يقول الحق : ((يَا أَيُّهَا الذين آمَنُواْ)) فهو يعطينا حيثيات التكليف ، أي علة الحكم . فعلّة الحكم أنك آمنت بالله إلهاً حكيماً قادراً . وما دمت آمنت بالله إلهاً حكيماً قادراً فسلم زمام الأوامر والنواهي له سبحانه ، فإن وقفت في أمر بشيء أو نهى عن شيء فراجع إيمانك بالله .))[44] .

فقد تنبه الشعراوي إلى أسرار الوصف في مطلع الآية المباركة فعبر عن السبب بقوله (علة الحكم) .

قوله تعالى: ((**الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)) [البقرة: 1-5]

قال صاحب زهرة التفاسير معقبا على قوله تعالى : ((أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)) : ((ذكر الله تعالى ما تحلى به المتقون الذين يؤمنون بما غيبه الله تعالى عنهم ... ، والذين يقيمون الصلاة ، وينفقون ... ، ويؤمنون بالرسالات الإلهية ، ويوقنون بالآخرة ، وبعد أن ذكر هذا ذكر سبحانه وتعالى حكمه - تعالت كلماته - عليهم ، مؤكدا ذلك ، فقال : (أولئك على هدى من ربهم) وأولئك : إشارة إلى حالهم موصوفين بهذه الصفات قائمين بهذه الصفات ، والإشارة إلى الصفات وتعقيب الحكم بعد الإشارة يومي إلى أن هذه الصفات هي علة الحكم بأنهم على هدى من ربهم))[45]

كذلك الحال مع قوله تعالى : ((**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ *وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ**)) [البقرة:11-16]

قال معقبا على قوله تعالى :((أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى)) : ((ولذلك قال الله تبارك وتعالى : (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) الإشارة هنا إلى المنافقين الذين ذكرت أوصافهم ، والإشارة إلى المعرف بالوصف هى إشارة إلى الأوصاف ، وقد حملوها ، وبذلك تكون الأوصاف هى علة الحكم ، وسببه)) [46]

فهم أخفوا الكفر ، وأعلنوا الإيمان ، وأفسدوا في الأرض ، و يزعمون إصلاحها ، و فيهم مرض النفاق وغير ذلك فهم بهذه الأوصاف كمن يشترى الضلال بثمن هو أعلى الأثمان [47] .

سادسا/ العدول من تركيب إلى آخر:

ورد العدول من تركيب إلى آخر فيما يأتي :

قوله تعالى **((وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ))** [الأنعام : 80]

قال أبو السعود : ((فإيثارُ ما عليه النظمُ الكريم على أن يُقال فأيُّنا أحقُّ بالأمن أنا أم أنتم؟ لتأكيد الإلجاءِ إلى الجواب الحقِّ بالتنبيه على علّة الحُكم ، والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجردِ الاحترازِ عن تزكية النفس))[48].

فالتنبيه على علّة الحُكم كان كفيلا بالعدول من تركيب إلى آخر في الآية المباركة .

قوله تعالى **((قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى))** [طه : 123، 124] .

تنبه الطباطبائي إلى هذا الأثر المتمثل بالعدول فقال :((و قوله: "و من أعرض عن ذكري" يقابل قوله في الآية السابقة: "فمن اتبع هداي" و كان مقتضى المقابلة أن يقال: "و من لم يتبع هداي" و إنما عدل عنه إلى ذكر الإعراض عن الذكر ليشير به إلى علة الحكم لأن نسيانه تعالى و الإعراض عن ذكره هو السبب لضنك العيش و العمى يوم القيامة، و ليكون توطئة و تمهيدا لما سيذكر من نسيانه تعالى يوم القيامة من نسيه في الدنيا.))[49].

فلم يكتف المفسر بذكر العدول بل ذكر دليلا عليه وذكر سببه ، فدليله (مقتضى المقابلة أن يقال: "و من لم يتبع هداي") أما سبب هذا العدول فقد أشار فيه إلى علة الحكم .

سابعا / الاعتراض :

من الآثار هو الاعتراض وسط الكلام ، بأن تأتي علة الحكم معترضة في الكلام ومثاله : قوله تعالى :

((إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (البقرة :6)

وفي ذلك قال البيضاوي : ((لا يؤمنون جملة مفسرة لإجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها أو حال مؤكدة أو بدل عنه أو خبر إن والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم .))[50].

وواضح أن توجيه الاعتراض كان بناء على إعراب جملة (لا يؤمنون) خبر (إنّ) ، وليس على الوجوه جميعها ، وكان الاعتراض بما هو علة الحكم .

ثامنا/ التقديم والتأخير:

من الآثار أيضا التقديم والتأخير ويتضح في :

قوله تعالى **((وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ))** (البقرة:222)

ورد في تفسير القرآن للعثيمين : ((ومن فوائد الآية: تقديم علة الحكم عليه حتى تتهيأ النفوس لقبول الحكم ، والطمأنينة إليه؛ ويكون قبوله فطرياً؛ لقوله تعالى: (قل هو أذًى فاعتزلوا النساء في المحيض) ؛ وقد يتقدم الحكم على العلة - وهو الأكثر كما في قوله تعالى: ((قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس)) [الأنعام: 145]))[51].

فبيان علة الحكم أدى إلى تقديم (هو أذى) ، والغاية من هذا التقديم تهيئة النفس لقبول ذلك الحكم والاطمئنان إليه ، وهذا التقديم خلاف الأكثر ، لان الأكثر هو أن يتقدم الحكم على العلة .

تاسعا / الحذف :

أشار إلى هذا الأثر الطباطبائي في أثناء كلامه على قوله تعالى :

((وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)) [المائدة : 56]

قال : ((و قوله: "فإن حزب الله هم الغالبون" واقع موقع الجزاء و ليس به بل هو من قبيل وضع الكبرى موضع النتيجة للدلالة على علة الحكم، و التقدير: و من يتول فهو غالب لأنه من حزب الله و حزب الله هم الغالبون، فهو من قبيل الكناية عن أنهم حزب الله.))[52].

فالمحذوف : (فهو غالب لأنه من حزب الله)

والحذف الذي عبر عنه بوضع الكبرى موضع النتيجة باعثه بيان علة الحكم.

الخاتمة

وبعد التطواف في رحاب الكتاب العزيز أدوّن ابرز ما توصلت إليه من نتائج :

- علة الحكم هي إحدى العلل التي قال بها المفسرون لتفسير العدول في التعبير .
- أثبت البحث أن الإتيان بـ علة الحكم له آثار في التركيب وإن هذه الآثار متعددة وكثيرة وهي بحسب ما جاء بالبحث :

وضع الظاهر موضع المضمر، واستعمال الموصول وصلته ، والالتفات ، واختيار كلمة دون أخرى ، وذكر أوصاف معينة ، والعدول من تركيب إلى آخر والاعتراض و التقديم والتأخير والحذف ، وأكثرها ورودا وضع الظاهر موضع المضمر واستعمال الموصول والصلة والالتفات .

- هناك عدة مواطن قالوا فيها : علة الحكم هي السبب في تركيب ما . بيد أني لم أسلّم بها أحيانا ، فذكرت رأيي في أثناء البحث ، والله أعلم وهو الهادي للصواب.

هوامش البحث :

1ينظر : حجة الله البالغة : 1/ 169- 170.
2 علم أصول الفقه : 52.
3 أصول الفقه الذي لا يسع الفقية جهلُه : 143.
4 علم اصول الفقه: 60.
5 ينظر : قواطع الادلة في الاصول : 140/2.
6 علم أصول الفقه: 64-65.
7 المصدر نفسه: 65.
8 الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو : 80.
9 الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو : 81.
10 ينظر : الاقتراح :13.
11 الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو : 93.
12 المصدر نفسه : 93.
13 ينظر: الاقتراح : 76.

14 القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة : 93-94.
15 تفسير ابي السعود: 40/3.
16 المصدر نفسه : 35/7.
17 روح المعاني: 10/14.
18 الميزان : 230/1 .
19 المصدر نفسه : 314/13 .
20 المصدر نفسه :91/15 .
21 المصدر نفسه :239/17 .
22 المصدر نفسه : 257/17-258.
23 المصدر نفسه : 280/18 .
24 المصدر نفسه : 296/19 .
25 تفسير ابي السعود: 182/6. ، وينظر : روح المعاني : 376/9.
26 روح المعاني:8/5.
27 المقصود من (هنا) : آية الأعراف.
28 ينظر: التحرير والتنوير : 145/9.
29 التحرير والتنوير: 100/11.
30 المصدر نفسه : 73/26.
31 الميزان: 403/17 .
32 التفسير الوسيط : 181/4.
33 المصدر نفسه :44/5.
34ينظر : موسوعة القواعد الفقهية : 197/3.
35 الميزان: 71/10 .
36 المصدر نفسه : 77/12.
37 المصدر نفسه : 221/19 .
38 المصدر نفسه : 143/20 .
39 تفسير ابي السعود : 144/5.، وينظر : روح المعاني : 7/ 474.
40 التحرير والتنوير: 53/29.
41 الميزان: 324/13.
42 المصدر نفسه :322/15.
43 المصدر نفسه : 306/15.
44 تفسير الشعراوي : 2140/4.
45 زهرة التفاسير : 112/1.
46 المصدر نفسه : 139/1.
47 ينظر: المصدر نفسه : 139/1.
48 تفسير ابي السعود: 156/3.
49 الميزان:224/14.
50 تفسير البيضاوي : 142/1.
51 تفسير القران الكريم (للعثيمين): 1/ 84-83.
52 الميزان:15/6.

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو ، أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الانباري ت 577ه ، قدم لهما وعني بتحقيقهما سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية ، 1957م
- الاقتراح في علم أصول النحو ، جلال الدين السيوطي ت 911ه ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط 2، 2006م.

- أصُولُ الفِقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهَ جَهْلُهُ ، عياض بن نامي السلمي ، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط1 ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون ، للنشر والتوزيع ، تونس ، 1997 م.
- تفسير أبي السعود المسمى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود ت 982هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .
- تفسير البيضاوي ، البيضاوي ، دار الفكر ، بيروت .
- تفسير الشعراوي – الخواطر ، محمد متولي الشعراوي ت 1418 هـ ، مطابع أخبار اليوم ، 1997م.
- تفسير القران الكريم : الفاتحة – البقرة ، محمد بن صالح العثيمين ، دار ابن الجوزي ، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية .
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة – القاهرة ، ط1، 1997.
- حجة الله البالغة ، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ «الشاه ولي الله الدهلوي» (ت ١١٧٦هـ) ، تحقيق: السيد سابق ، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان ، ط 1، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين الآلوسي ت 1270 هـ ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1415 هـ
- زهرة التفاسير ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .
- علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف ت 1375هـ ، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر ، ط 8 ، دار القلم.
- قواطع الأدلة في الأصول ، أبو المظفر المروزي السمعاني ت 489ه ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1، 1418ه .
- القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة ، محمد عاشور السويح ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، مصراته ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، ط1، 1986م .
- مُوْسُوعَة القَواعِد الفِقْهِيَّة ، محمد صدقي بن أحمد بن محمد ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ، ط1، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
- الميزان في تفسير القران ، محمد حسين الطباطبائي ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، في قم المقدسة .